

باستحقاق. وأخيراً كانت تعمل أفعال حبذ حار للغاية حتى أنها تجبر ابنها الإلهي على المجيء لزيارتها أو أن يعبر لها عن المسرة التي يشعر بها بحلوله في قلبها. وتقضي هكذا القسم الأكبر من الليل.

ولما تحين ساعة المناولة كانت تسمع القداس الذي يقوم به عادةً القديس يوحنا. وفي نهايته تقترّب ساجدة ثلاث سجداً إلى الأرض وتتقبّل الأسرار المقدسة: جسد من كان قد تجسّد في أحشائها وتنسحب بعدئذٍ إلى مُصلاها وتقضي هناك ثلاث ساعات في الخلوة التي لم تكن تقطعها إلا لقضاء بعض حاجات القريب الملحة.

وكان الإنجيلي مرات عديدة يحصل على فرح مشاهدتها مشرقة بكليتها نظير الشمس. كما عرفت أيضاً وقتئذٍ بان على الكهنة أن يرتدوا ملابس خاصة عندما يحتفلون بذبيحة القداس. ولذا فقد صنعت هي بيدها ملابس لا يختلف شكلها كثيراً عن شكل تلك التي تستعمل حالياً في الكنيسة الرومانية. وكان القماش قريباً لذاك لمستعمل اليوم أكثر فأكثر، لأن مريم الكلية القداسة كانت تستعمل نسيج القطن والحريز الثمين الذي كانت تحصل عليه من تقادم المؤمنين. وعندما كانت تشتغل بالملابس الكهنوتية، كانت تطويها وهي راكعة دوماً على ركبتيها أو واقفة مع الملائكة الحاضرين.

وعندما تخرج الملابس من بين يديها كانت مطبوعة برائحة سماوية تزيد من تقوى الكهنة.

وأخيراً كانت تسهر على أن يكون كل ما يلزم للهيكل نظيفاً نظافة تامة على قدر ما كانت تملك وبأعلى مستوى من الاحترام لسرّ الإفخارستيا المقدس.

أما بالنسبة للنوم، فلم تعد تأخذ منه في هذه السنوات قسطاً يسيراً نزولاً عند رغبة القديس يوحنا. ولكنه لم يكن إلا انقطاعاً خفيفاً عن الحواس لنصف ساعة فقط أو بالأكثر ساعة بدون الانقطاع عن رؤية الله بالطريقة التي ذُكرت من قبل.

كل يوم، ما عدا الأيام التي لا تستطيع فيها أن تخرج من مُصلاها كانت تجدد نوعاً ما في المناولة وبالرغم من أنها كانت على استعداد دائم بالقداسة ويسوع دوماً في قلبها لم تكن تنقطع عن الاستعداد للمناولة بتمارين طويلة. كانت تقدم قبل كل شيء الآلام التي تتجدد فيها كل أسبوع كما سنراه فيما بعد.

تنسحب إلى خلوتها عند هبوط الظلام ويستأذن الله بالتكلم إليه فتسجد على شكل صليب أمام عزته وتعبد كيانه اللامتناهي وتسأله أن يمنحها على الرغم من حقاتها أن تقبل ابنها في سرّ الإفخارستيا.

ونثبت ابتهالاتها الحارة بصلاحه الغير المتناهي، ومحبة يسوع المسيح الساكن في الكنيسة وتحت الأعراض السرية المقدسة.

كانت تقدم له تجسده وآلامه وموته والاستعدادات التي كان يتناول بها هو نفسه، وجميع أعماله، من أول لحظة لتجسدهن وأفعال الملائكة والأبرار مع كل قداستهم على مرّ الأجيال.

وكانت تعمل بعدئذٍ في أعماق نفسها، أفعال تواضع عميقة وتحسب ذاتها كغبار حقير أمام جلاله الإلهي وأخر المخلوقات.

وكانت تسأل الملائكة أن يتشفّعوا لها قرب السيد حتى تتمكن أن تستقبله